

الحلقة الثانية
قصص السيرة

القصص النبوية

الفجوة

عبد الحميد جودة السحار

١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ
كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ، إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ
لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ .

(قرآن کریم)

أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمُرُّ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ
يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ .

قَالَ لِأَحَدَى الْقَبَائِلِ :

— إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ، آمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ ،
وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا .

فَصَاحَ أَبُو لَهَبٍ ، وَكَانَ رَجُلًا أَحْوَلَ لَهُ غَدِيرَتَانِ :
— إِنَّهُ كَاذِبٌ ، لَا تُصَدِّقُوهُ .

فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى بَلَغَ قَبِيلَةَ أُخْرَى ، وَرَاحَ
يَقُولُ :

— يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا .

فَرَّاحَ أَبُو لَهَبٍ يُلْقِي عَلَيْهِ التُّرَابَ ، وَيَقُولُ :

— لا تُصَدِّقُوهُ ، فَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ تَتْرَكُوا عِبَادَةَ
آلِهَتِكُمْ .

وَاسْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمُرُّ عَلَى الْقَبَائِلِ ، يَعْرِضُ
عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ ، وَأَنْ يَمْنَعُوا عَنْهُ الْقَتْلَ ، حَتَّى يُبْلَغَ
رِسَالَاتِ رَبِّهِ ، وَلَكِنَّ الْقَبَائِلَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا :
— لَوْ كَانَ فِيهِ خَيْرٌ مَّا تَرَكَهُ قَوْمُهُ .

٢

العربُ فِي يَثْرِبَ (المدينة) قَبِيلَتَانِ : هُمَا الْأَوْسُ
وَالخَزْرَجُ ؛ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ ، وَكَانَ جِيرَانُهُمُ
الْيَهُودُ يَعْبُدُونَ اللَّهَ . وَكَانَ الْيَهُودُ قَلَّةً ، فَكَانَ إِذَا
شَبَّ بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْيَهُودِ قِتَالٌ ، قَالَ الْيَهُودُ لِلْعَرَبِ :
— إِنَّ نَبِيًّا الْآنَ قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُهُ ، نَتَّبِعُهُ وَنَنْتَصِرُ بِهِ
عَلَيْكُمْ .

كان عربٌ يشربُ يسمعونَ ذلكَ من اليهود ،
فيعلمونَ أنَّ اللهَ سِيرسلُ رسولاً هدايةً للناس .

وحدَّث في موسمِ الحجِّ ، أن خرجَ بعضُ عربٍ
يشربُ إلى مكَّة ، فلمَّا قابلهم رسولُ الله ، قال لهم :

- من أنتم ؟

قالوا :

- نفرٌ من الخزرج .

قال :

- أمِنُ موالى يهود ؟

قالوا :

- نعم .

قال :

— أَفَلَا تَجْلِسُونَ أَكَلَمَكُمْ ؟

فَجَلَسُوا مَعَهُ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ
الْإِسْلَامَ ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :
— يَا قَوْمَ ، تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ أَنَّهُ النَّبِيُّ الَّذِي تَوَعَّدَكُمْ
بِهِ الْيَهُودُ ، فَلَا يَسْبِقَنَّكُمْ إِلَيْهِ .

وَأَسْلَمُوا ؛ وَوَاعَدُوهُ عَلَى الْلِقَاءِ فِي الْعَامِ الْقَادِمِ .

٣

عَادَ الرِّجَالُ إِلَى يَثْرِبَ بَعْدَ أَنْ قَابَلُوا مُحَمَّدًا ﷺ ،
وَأَعْلَنُوا إِسْلَامَهُمْ ، وَدَعَوْا أَهْلَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، حَتَّى
فَشَا فِيهِمْ وَانْتَشَرَ ، وَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْعَرَبِ فِي
يَثْرِبَ ؛ إِلَّا وَفِيهَا ذِكْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمَرَّ
الزَّمَنُ ، وَجَاءَ أَوَانُ الْحَجِّ ، فَخَرَجَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا

من أشرافهم إلى مكة ، وقابلوا رسول الله ، وباعوه
على ألاّ يُشركوا بالله شيئا ، ولا يسرقوا ، ولا
يزنوا ، ولا يقتلوا أولادهم .

وانصرف الرجال بعد الحج إلى يثرب ، فأرسل
رسول الله معهم مصعب بن عمير ، ليُعَلِّمَهُمُ
الإسلام ، وقراءة القرآن ، وأمر دينهم .

٤

ومرّت سنة ، وجاء أوان الحج . فخرج المسلمون
من يثرب إلى مكة للحج ، وواعدوا رسول الله أن
يقابلوه في الليل ، إذا فرغ الحج . فلما هدأت
الرجل ، خرج الرجل والرجلان إلى حيث واعدوا
رسول الله ، حتّى أصبحوا سبعين رجلا . وجاءهم

رسولُ الله ومعه عمُّه العباسُ بنُ عبدِ المطلب ، فقال
العباس :

- إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ ، فَهُوَ فِي عِزَّةٍ فِي
قَوْمِهِ ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إِلَّا الْأَنْحِيَاذَ إِلَيْكُمْ ، وَاللُّحُوقَ
بَكُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ ، فَأَنْتُمْ
وَمَا تَحْمِلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ . وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ
مُسْلِمُوهُ وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ . فَمِنْ الْآنَ
فَدَعُوهُ .

قالوا : قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ .

فقال رسولُ الله :

- أَبَايُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ
وَأَبْنَاءَكُمْ .

وَبَسَطَ رَسُولُ اللَّهِ يَدَهُ ، وَبَايَعَهُ الْأَنْصَارُ عَلَى أَنْ
يَمْنَعُوهُ وَيَحْمُوهُ إِذَا هَاجَرَ إِلَيْهِمْ .

٥

وَانْتَشَرَ الْإِسْلَامُ فِي يَثْرِبَ . حِينَ كَانَ الْأَضْطِهَادُ
مُسْتَمِرًّا فِي مَكَّةَ ؛ كَانَتْ قُرَيْشٌ تُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ ،
فَجَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ مَنْ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ ، وَقَالَ
لَهُمْ :

— إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَانًا ، وَدَارًا تَأْمَنُونَ بِهَا .
وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى يَثْرِبَ ، فَرَاخُوا
يَخْرُجُونَ مِنْ بِلَادِهِمْ ، فِرَارًا بِدِينِهِمْ . وَانْتَظَرَ رَسُولُ
اللَّهِ إِذْنَ اللَّهِ لَهُ بِالْهَجْرَةِ ؛ وَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ يَطْلُبُ مِنْهُ
الْإِذْنَ لِيُهَاجِرَ .

- لا تَعَجَلْ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلْ لَكَ صَاحِبًا . هَاجَرَ
المسلمون ولم يبق إلا مُحَمَّدٌ ﷺ ، وأبو بكر ، وعلى
ابنُ أبي طالب ، والمستضعفون الذين حبسهم
سادتهم عن الهجرة . وعَلِمَ ساداتُ قُرَيْشٍ بهجرة
أصحابِ مُحَمَّدٍ ، فاغتاضوا ، وخافوا أن يخرجَ مُحَمَّدٌ
ﷺ وسلَّمَ إلى أصحابه ، حتى إذا قَوِيَ جَاءَ
يحاربهم ؛ لذلك قَرَرُوا فيما بينهم أن يأخذوا من كل
قبيلةٍ فتي شابًا ، ثم يُعْطُوا كُلَّ فتي منهم سيفًا ؛ ثم
يذهبوا إليه ويضربوه بسيفهم ضربة رجلٍ واحد ،
فيقتلوه ، وبذلك يتفرَّق دُمُهُ في القبائل ؛ لأنَّه إذا
قتله رجل واحد ، قام بنو عبد مناف ، أهل مُحَمَّدٍ ،
لحربِ قبيلة القتال ، فقد كان من عادة العرب أن
يثأروا للمقتول ، من كلا القتال وقبيلته .

واتفقوا على أن يقتلوا رسول الله هذه الليلة ،
ولكن الله لم يترك رسوله ، فقد أرسل إليه جبريل
يقول له :

- لا تبث هذه الليلة على فراشك الذي كنت
تبيت عليه .

وجاء الليل وجاء أبو جهل ومن اتفق معه على
قتل رسول الله ، فلما أحس رسول الله ﷺ بهم ،
قال لعلي :

- نم في فراشي ، فإنه لن يخلص إليك شيء
تكرهه منهم .

ونام علي في فراش النبي ، وراح سادات قريش
ينظرون ، فيرون عليا في الفراش ، فيحسبون أن
رسول الله نائم .

وَفُتِحَ الْبَابُ ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَقَدْ أَعْمَى اللَّهُ
عَنْهُ أَعْدَاءَهُ ، فَرَاخَ رَسُولُ اللَّهِ يَضَعُ التُّرَابَ عَلَى
رُءُوسِهِمْ ، وَانصَرَفَ إِلَى بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ . وَجَاءَ رَجُلٌ
وَنَظَرَ إِلَى الرِّجَالِ الَّذِينَ جَاءُوا لِقَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ ،
وَقَالَ لَهُمْ :

- مَا تَنْتَظِرُونَ هَا هُنَا ؟

قَالُوا : مُحَمَّدًا .

- خَيَّيْكُمْ اللَّهُ ! قَدْ وَاللَّهِ خَرَجَ مُحَمَّدٌ ، ثُمَّ مَا تَرَكُ

مِنْكُمْ رَجُلًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَرَابًا ، وَذَهَبَ

لِحَاجَتِهِ ، أَفَمَا تَرَوْنَ مَا بَكُمْ ؟

فَوَضَعَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَإِذَا عَلَيْهِ

تُرَابٌ ، وَنَظَرُوا فَرَأَوْا عَلِيًّا فِي الْفِرَاشِ ، فَقَالُوا :

- وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لِمُحَمَّدٍ نَائِمًا .

وظَلُّوا حَتَّى أَصْبَحَ الصَّبَاحُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَلَى ،
فَاغْتَاطُوا ، وَذَهَبُوا يَبْحَثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ .

٦

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ
مَهَاجِرَيْنِ إِلَى يَثْرِبَ ؛ وَقَبْلَ أَنْ يَخْرُجَا أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ
ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ أَنْ يَتَسَمَّعَ لهما مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِمَا
نَهَارًا ، ثُمَّ يَأْتِيَهُمَا إِذَا أَمْسَى بِمَا يَكُونُ مِنَ النَّاسِ فِي
ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْخَبَرِ ، وَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يَرْعَى غَنَمَهُ
نَهَارًا ، حَتَّى إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ تَرَكَهَا عِنْدَ غَارِ بَجَلِ ثَوْرٍ
بِأَسْفَلِ مَكَّةَ .

وَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ إِلَى غَارِ
ثَوْرٍ ، وَاخْتَبَأَ بِهِ ؛ فَإِذَا جَاءَ اللَّيْلُ ، أَتَى إِلَيْهِمَا عَبْدُ

اللَّهِ بَنُ أَبِي بَكْرٍ ، يُخْبِرُهُمَا بِمَا فَعَلَ النَّاسُ بَعْدَ
اِخْتِفَائِهِمَا . وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَخْرُجُ إِلَى الْغَنَمِ الَّتِي
تَرَكَهَا خَادِمُهُ ؛ يَحْلِبُهَا وَيَسْقِي الرَّسُولَ لَبَنَهَا ، ثُمَّ
يَشْرَبُ مِنْهَا .

رَاحَتْ قُرَيْشٌ تَبْحَثُ عَنِ النَّبِيِّ وَصَاحِبِهِ ، وَاقْتَفَوْا
أَثَرَهُ : رَأَوْا آثَارَ أَقْدَامٍ ، فَسَارُوا فِي اتِّجَاهِهَا ، حَتَّى
إِذَا بَلَغُوا الْغَارَ ، رَأَوْا عَلَى بَابِهِ نَسْجَ الْعَنْكَبُوتِ ،
فَقَالُوا :

- لَوْ دَخَلْنَا هَاهُنَا أَحَدٌ لَمْ يَكُنْ نَسْجَ الْعَنْكَبُوتِ
عَلَى بَابِهِ .

وَسَمِعَ أَبُو بَكْرٍ صَوْتَ النَّاسِ ، فَقَالَ هَامِسًا :
- هَؤُلَاءِ قَوْمُكَ يَطْلُبُونَكَ .

فقال له النبي ﷺ : يا أبا بكر لا تخف ؛ إِنَّ اللَّهَ معنا .

وَمَرَّتْ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، وَرَسُولُ اللَّهِ وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْغَارِ ، فَلَمَّا هَدَأَ بَحْثُ النَّاسِ عَنْهُمَا ، رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةً ، وَرَكِبَ أَبُو بَكْرٍ نَاقَةً ، وَرَكِبَ الدَّلِيلُ الَّذِي اسْتَأْجَرَاهُ لِيَذْهَبَ بِهِمَا فِي طَرِيقٍ غَيْرِ مَعْرُوفٍ ، نَاقَةً ، وَسَارُوا إِلَى يَثْرِبَ .

٧

أَعْلَنَ أَشْرَافُ قُرَيْشٍ عَنْ مَكَافَأَةٍ لِمَنْ يَقْتُلَ مُحَمَّدًا أَوْ يَأْسِرُهُ ؛ وَطَمَعَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْمَكَافَأَةِ ، فَارْتَكَبَ فَرَسَهُ ، وَأَخَذَ رُمْحَهُ ، وَرَاحَ يَجْرِي فِي الطَّرِيقِ الَّذِي سَارَ فِيهِ مُحَمَّدٌ وَأَبُو بَكْرٍ وَالدَّلِيلُ ، حَتَّى إِذَا اقْتَرَبَ مِنْهُمْ سَقَطَ عَنْ فَرَسِهِ ؛ فَقَامَ وَرَكِبَهَا

وَجَرَى خَلْفَهُمْ ، وَلَكِنْ غَاصَتْ يَدَا فَرَسِهِ فِي الرَّمَالِ
حَتَّى الرُّكْبَتَيْنِ ، فَسَقَطَ عَنْهَا ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا ، وَرَكَبَهَا
وَجَرَى خَلْفَهُمْ ، فَسَقَطَ عَنْهَا ، فَنَادَى بِالْأَمَانِ ، وَقَدْ
وَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنْ سَيُظْهِرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ، وَدَنَا مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ ، وَقَالَ لَهُ :
- اكْتُبْ لِي كِتَابَ أَمَانٍ .

فَأَمَرَ الدَّلِيلَ أَنْ يَكْتُبَ ، وَعَادَ سُرَاقَةً إِلَى مَكَّةَ ،
وَكَانَ كُلَّمَا قَابَلَ أَحَدًا يَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ رَدَّهُ عَنْهُ .
وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَثْرِبَ ، لِيَنْشُرَ دِينَ اللَّهِ ،
وَيُمْكِّنُ لَهُ فِي الْأَرْضِ .

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَيَأْبَى
اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ .